آراء

صحافيون في دبّابات إسرائيلية

معن البياري

لم نشاهد مراسلين لمحطّات تلفزيونية ومنصات إخبارية كبرى، سي إن إن وسي إن بي سي ودويتشة فيللة وفوكس نيوز وقنوات فرنسية (وغيرها) في قطاع غزّة، أمام دمار في مخيّم جباليا، أو بين أنقاضٍ في مخيم النصيرات، أو عند بوابة مستشفى الشفاء، أو في حارة في خانيونس، أو .... لم نشاهد مراسلا من هذه القنوات، مثلا، يلبس السّترة والخوذة الواقيتين، ويبثّ مع زميل مصوّر معه أخبارا من موقع الحدث. يحدُث، ولو قليلا، أن تتواصل مع صحافيين فلسطينيين وشهود عيان في القطاع المنكوب، لتتوثّق من خبرٍ معيّنٍ أو معلومةٍ، ويحدُث أن تبثّ صورا ورسائل إخبارية (مفلترة بعض الشيء) من وكالاتٍ أو مؤسّسات تزويدٍ لوجستية يتعاونون معها. ومع التسليم البديهي بأن في الحروب مخاطر كبرى وصغرى، وتحرِص المؤسّسات الإعلامية على تجنيب العاملين فيها من احتمالات الإصابة أو الموت، إلا أننا لم نعدم وجود مراسلين لها في العراق والبوسنة وسورية وأوكرانيا، في غضون حروبٍ ونزاعاتٍ في هذه البلدان، وقد سقط قتلى منهم غير مرّة. ومن مفارقاتٍ في أثناء الحرب المتوحّشة على أهالي قطاع غزّة، أن مراسلين ومصوّرين وصحافيين أميركيين وأوروبيين بلا عدد يرابطون في القدس المحتلة وتل أبيب (ويتردّدون أحيانا على مواقع في غلاف غزّة)، ومن حيث هم يغذّون شاشاتهم ومؤسّساتهم بتقاريرهم، عن الجاري في غزّة، واعتمادا على الغالب على مصادر وبيانات (عسكرية وسياسية) إسرائيلية، مع بعض اقتباساتٍ واجتهاداتٍ لخبراء عن تصوّراتهم للحرب ومآلاتها، مع إشارات بمقادير ملحوظة، وأحيانا جيّدة، إلى صعوبة الأوضاع في القطاع، وسقوط أعداد كبيرة من المدنيين، غير أن هذا كله يرد بصيغة تأتي على «ردودٍ إسرائيلية عنيفة» على «فظاعات حماس»، مع مشاهد لمواقع إسرائيلية في مستوطنات في غلاف غزّة مثلا استهدفتها «حماس».

لا يحاول أولئك الصحافيون، غير المهنيين في أدائهم بشأن غزّة، التعمية على انحيازاتهم واصطفاف مؤسّساتهم مع السرديات الإسرائيلية، فيقتلون الحقيقة ويقترفون مذبحة للمصداقية، والمهنية الإعلامية. وفي الأثناء، يلاحظ أن الصحف والدوريات الإخبارية الكبرى، الأميركية والبريطانية مثلا، أقل انحيازا في سياستها التحريرية الإخبارية بشأن غزّة، فهذه «نيويورك تايمز» تبذل جهدا طيبا في «التشكيك» في الزعم الإسرائيلي إن الصاروخ الذي ضرب مستشفى المعمداني انطلق من غزّة نفسها، واجتهد تقريرها في هذا الخصوص بمهنيّة ظاهرة، فقد اعتنى بتحليلٍ «بصري وتفصيلي» لفيديوهات معيّنة. وتنشر الصحيفة نفسها السبت الماضي، بعد تحليل أجرته لصور من الأقمار الصناعية، ولمقاطع فيديو، أن الضربة الإسرائيلية على مخيم جباليا في قطاع غزّة تمت بقنبلتين تزن الواحدة 900 كيلو غرام. ولفتت إلى أن الجيش الإسرائيلي رفض التعليق. ولافت، في الغضون، أن «نيويورك تايمز» نفسها تفصل محررة لديها، معاقبة لها على توقيعها على بيان ينتقد العدوان الإسرائيلي.

هذه العجالة لا يمكن لها أن تختتم سطورها هذه من دون استفظاع واقعة اصطحاب الجيش الإسرائيلي صحافيين، في قافلة من خمس دبابات وعربتين مصفحتين، إلى «محور المواجهة» والشاطئ في داخل غزّة، مساء السبت الماضي بعض الوقت، لإطلاعهم على ما أراد الجيش أن يروه. ويخبرنا رونين عما شاهده (برفقة زملائه وأحدهم من «فوكس نيوز»)، في أربع ساعات، ومنه جدار مدرسة تحول إلى أنقاض، ومئذنة مسجد مائلة، وسقف فيلا على الشاطئ اختفى، ويوضح أن غرض الجيش من الجولة التي استغرقت أربع ساعات أن يشاهد الصحافيون «التقدّم الذي يقوم به»..

ليس جديدا أن يواكب صحافيون أرتالا عسكرية في أثناء معارك أو في خواتيم حروب، شوهد شيء من هذا عند تحرير الكويت، وفي أثناء حرب خلع صدام حسين تاليا، غير أنه من المدهش أن تغيب عن غزّة تماما، وتغطّي الحرب فيها وعليها من القدس وتل أبيب، ثم تتجوّل برفقة الجيش على شاطئ غزّة وأنت في دبابة ... هذا عجيب.

حسابات السياسة و«الشعارات»

أحمد سعداوي

في أكثر من مناسبة، خلال الأسبوع الماضي، أبدت الحكومة العراقية، وعلى لسان رئيسها، محمد شيّاع السوداني، موقفاً ينأى بالعراق عن الانخراط في مواجهة مباشرة بالحرب في غزّة، سوى المواقف السياسية الداعمة لحقوق الشعب الفلسطيني، والمناهضة للاحتلال الإسرائيلي، وهو ما يتصادى مع مواقف غالبية الشرائح والاتجاهات والتيارات السياسية والاجتماعية في العراق. ولكن هذا الموقف يضع التيارات السياسية التي تصف نفسها من محور المقاومة في موقفٍ محرج، فهي تشتغل أصلاً في الساحة السياسية العراقية، وتفرض سيطرتها بقوة السلاح بالاستناد إلى سردية مقاومة الاحتلال. وها هي ساعة الجدّ قد حانت، فلا احتلال أقسى وأوضح من الاحتلال الإسرائيلي، وهو ليس في قارّة بعيدة، ويمكن من خلال سورية، وهي ساحة لنشاط معتاد لفصائل عراقية مسلّحة عديدة، أن تحقّق على الأرض ما أتعبت السامعين من ترديده سنين طويلة. ولكن بعض هذه الفصائل فضّلت التظاهر أمام الحدود العراقية الأردنية، وكأنها أخطأت الطريق، أو ربما لأنها تعرف أن هذا طريقٌ مسدود، يكفي لاستعراض المواقف من دون المجازفة بشيء أكبر. ترفع حكومة السوداني المدعومة من تيارات سياسية سردية المقاومة، وقد أبدت موقفاً رسمياً ينأى عن هذه السردية، بما يوحي باستقلاليّة الحكومة، وأنها تحاول التصرّف بشكل براغماتي يرعى مصالح العراق. وقد تكون كذلك، ولكن موقفها يلتقي مع الخطّ العام الذي انتهجته إيران، أحد الفاعلين الكبيريْن (مع أميركا) في السياسة العراقية، تجاه ما يمكن العمل به في الحرب الجارية في غزّة.

ماذا لو أن إيران أفتت بالانخراط في الحرب، والعمل ضد إسرائيل وحلفائها، وأبرزهم أميركا الحاضرة في العراق؟ هل تستطيع حكومة السوداني حينها أن «تنأى» بنفسها؟ إنه سؤال افتراضي يولّد إحراجا كثيرا، لأن عراقاً يدخل في مواجهة مباشرة مع أميركا سيكون معزولاً، تنقطع عنه الإمدادات، بما يؤثر لاحقاً على إيران نفسها، التي تعتمد كثيراً على العراق، وعلى انفتاح العراق على العالم، لتخفيف العزلة الايرانية. ثم إن إيران، بعيداً عن العراق، لا تريد الانخراط في حرب غزّة، لأن المستوى الذي دخلته الحرب هذه المرّة أعلى من المتوقّع عند إيران، وأعلى من إمكانية «الاستثمار الآمن» لها. وصار من الواضح عند الفلسطينيين بشكل عام، وعند حركة حماس، أنها حربهم وحدهم، كما قال أمين عام حزب الله حسن نصر الله.

كل التيارات السياسية الداعمة لحكومة السوداني اليوم بلعت لسانها، أما التي أطلقت الصواريخ على المعسكرات الأميركية في العراق فهي التي لديها حسابات سياسية خاصّة، لا علاقة لها بصورة جوهرية بساحة الصراع في غزّة. فهي، أولاً، صواريخ محدودة التأثير ومدروسة بعناية لإحداث تأثير إعلامي أكثر مما هو مادّي، وثانياً لأنها تريد تعديل موقعها داخل دائرة النفوذ السياسي والمالي، وابتزاز الحكومة وتياراتها الداعمة. ولكن هناك تهديدا جدّيا بأن تُحدِث الصواريخ «الإعلامية» تأثيراتٍ غير متوقعة على المصالح الأميركية، حتى عند مطلقيها، فيتفجّر صراعٌ لم يكن في الحسبان، وهذا ما دفع رئيس الوزراء العراقي إلى الطيران إلى طهران لحثّ مسؤوليها للضغط على الفصائل «المتمرّدة»، حتى لا تقع في المحظور. التيارات السياسية العراقية بشكل عام، وخصوصا التي ترفع سردية المقاومة، لم تفعل خلال عقدين شيئاً لتعزيز استقلال العراق، ولبناء مقدّراتٍ وأسسٍ للاستغناء عن الحاجة الأساسية للوجود الأميركي، خصوصاً بما يتعلّق بحماية عائدات النفط، وتصفية ملفّ الدائنين الدوليين، وتنويع الاقتصاد الأحادي المستند إلى النفط تحديداً، وتعزيز قوّة النظام السياسي وتوسيع قاعدة شرعيته من خلال استيعاب التيارات والآراء السياسية المختلفة، وفرض سلطة القانون، ودعم النظام الديمقراطي وبناء مؤسّسات قوّية. وإذا فعلت هذه التيارات ذلك، فسيكون العراق في موقع أقوى، وأكثر نفعاً لأبنائه وللقضايا العادلة التي تستحقّ الوقوف معها مثل قضية الشعب الفلسطيني وصراعه من أجل نيْل حقوقه.

حين تقول صور أطفال غزّة كل شيء للعالم

يقظان التقي

الإنسانية في أسوأ مراحلها التاريخية، حين لا تسود غزّة، حين لا يكون الأطفال في مكانهم كليّا، وفي أمان الصورة. آلاف الصور تبث يوميا، آتية من فلسطين، ومن مدن العالم أيضا هذه المرّة، من واشنطن ولندن وباريس ومونتريال وميلانو وكوبنهاغن. وحدها الصور تقول كل شيء. يرى العالم أطفال غزّة أمامه ظاهرين من تحت الركام والمباني المدمّرة وأبواب المستشفيات. لكل صورة لطفل فلسطيني كيانها. من رأى وجه أحدهم عرف الشخصية الفلسطينية كلها، الأمر الذي لا يفهمه العالم، وهو لا يختبر الموت، وما ينبئ به ويعانيه المجتمع الفلسطيني. لا تختلف ألوان البشرة والتراب والدماء في جوهر القضية التي تعرّي وهم الوجود الإسرائيلي وشروطه في القتل والعنف والحقد والغضب. الصور تولد الرمزيات بألوان حقيقية، وتقول إن أحدا لم يستطع أن يعرض شكلا آخر لما تمثله «الأيقونة» الفلسطينية، حين تواجه احتلالا من طبيعةٍ تعكس كل هذا الشرّ، ومن دون محاسبةٍ تُذكر.

لا يرى العالم ولا يسمع ولا يحسّ مع الأطفال والنساء، والذين يؤسّسون لمواجهة عالم حربي قديم. يقول أحد المسعفين، سامر الطرزي، من غزّة «لقد جمعنا جثث أطفال عديدين في عديد من أجزاء الجسم، إنه مشهد سيبقى في ذهني لو عشت ألف عام». لا يتوقف تعداد أرقام الشهداء، ويطاول الناس الذين بحثوا عن الأمان. لكن وكالة غوث اللاجئين (أونروا) تقول «لا توجد أماكن آمنة في غزّة. كأن الأمر أشبه بيوم القيامة. صرخات عالية، مئات الجثث والأشلاء البشرية المتناثرة». أطفال يعيشون حربهم الثالثة في أقلّ من ستّ سنوات. أزيد من مليوني رجل وامرأة وطفل محاصرون في سجن مفتوح أكثر من 13 عاما. تحدّد قوانين النزاعات المسلحة الدولية المعايير الدنيا لسلوك جميع الأطراف، بهدف واحد وثابت ودائم، الحدّ من المعاناة الإنسانية الناجمة عن الصراع. وتتعلق اتفاقية جنيف الرابعة تحديدا بحماية المدنيين في أوقات الحرب. ويأتي هذا اعترافا بأن المدنيين وأولئك الذين لا يشاركون بشكل ناشط في القتال، رجالا ونساء وأطفالا، لا يتحمّلون أي مسؤولية عن سلوك أطراف مسلحة، ويجب عدم استهدافهم انتقاميا، ومنحهم حقّ الوصول إلى مساعدة.

تقصف إسرائيل آمال البقاء على الحياة مرّة تلو أخرى. قتل يومي وصفه وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، مارتن غريفيث، بأنه مثل «شبح الموت الذي يخيّم في كل المكان»، وأدّى النزوح إلى الجنوب إلى زيادة العبء على مدارس أونروا وغيرها من المرافق غير المجهّزة للتعامل مع التدفق الهائل من الناس. لم يكن لدى عديد من الغزّيين من المتاع قبل الحرب سوى الأطعمة المعلبة والمخزون المحدود من إمدادات الماء والشفاء. بعد الحرب، بالكاد يتم توزيع الخبز وبعض الحبوب. ينام الأطفال خائفين، يشربون الماء المالحة. «لم نتمكّن من جلب الخبز»، كما تقول جوليت توما من «أونروا» التي أوضحت أيضا أن الموظفين سيضطرّون إلى تقنين استهلاكهم للحصول على ليترٍ مياه واحد لكل الاستخدامات، في حين تُقصف خزّانات المياه.

لم يعد في المشرحة في مستشفى الأقصى مكانٌ للأشخاص الذين استشهدوا. وضع الموظفون 20 جثة في عربة الآيس كريم التي لا تزال مزيّنة بصور الأطفال السعداء. مع ذلك، وصلت صورة البأس الفلسطيني الجوهري والمصوّر بمعاني إرادته ومطلوباته على أرضه/ ملكوته. هي البيان والكلام، والمعلومات عن الغرض من قتل الأطفال والنساء، وفي رؤية إرهاب الدولة / إسرائيل. وجوه الأطفال المشوّهة الدميّة ترسم توصيفا لعدوانيةٍ لا تتغيّر. ما تغيّر أن الإعلام الغربي، بعد «فجيعته» الأولية باسرائيل، بدأ يتذكّر الاحتلال في الضفة الغربية وغزّة، وكيف كان الجنود الإسرائيليون يقتحمون البلدات ويختطفون المواطنين ويضربونهم ويتحكمون بهم في حياتهم وتنقلاتهم،

> الصورة سلاح المعركة، الوسيلة الفعّالة لإدانة العالم والضمير الإنساني المشوّه والمتسخ، حين يخفي ارتباكه وانزعاجه مما تفعله إسرائيل

ويهدمون أسبوعيا منازلهم، ويدمّرون محاصيلهم، ويصادرون أراضيهم. يأتي قصف قطاع غزّة اختبارا لجزئية الصورة التي كانت تغطّي فيها وسائل الإعلام أخبار وفيات الإسرائيليين، وتتجاهل الوفيات الفلسطينية التي تحدُث بوتيرة أكبر بكثير، ولا تذكر التقارير من تقتلهم الغارات الإسرائيلية، حين التركيز على الهجمات الصاروخية من غزّة. لماذا فعلت «حماس» ذلك؟ لماذ أعادت صورة شخصية فلسطين الجديدة كما هي إلى الواجهة، وتحديدها وتسميتها حتى بالموت وانفعاليته؟ شعب محدّد بألوانه، تصير صور الموت عنده متجانسة، كما يجري إدراك أنها حياة ممتدّة خلف الصورة، فيعود ويسأل العالم: كيف هي الحياة في غزّة، وفي الضفة الغربية؟

منذ حرب الأيام الستة في 1967 تمّ هدم 116 ألف منزل في الضفة والقطاع، 211 مدرسة، 67 مستشفى، علاوة على ما هدمته الطائرات في غزّة أخيرا. لا يشبع الخزّاف الإسرائيلي من نحت الموت بأجساد الفلسطينيين، فتستدير وجوه الأطفال أمام الكاميرات. لماذا قامت «حماس» بهجومها الكبير؟ لأن الناس تعرّضت للضرب والاختطاف والإصابة والترهيب على مدى عقود، لأن الناس اقتلعت من مطارحها، لأن الناس على أراضيهم يعارضون مصادرة ممتلكاتهم وحيواتهم من دولةٍ تدمّر مزارعهم وسبل عيشهم، وتقتلع الآلاف من أشجار الزيتون، وتقودهم إلى التهجير عاما بعد عام، وحربا بعد حرب، أمام أعين العالم، ولا يفعلون شيئا، فكانت الصورة سلاح المعركة، الوسيلة الفعّالة لإدانة العالم والضمير الإنساني المشوّه والمتسخ، حين يخفي ارتباكه وانزعاجه مما تفعله إسرائيل، فينفعل الشباب في عواصم العالم في تظاهراتٍ حاشدة. هذا القرن هو قرن الصورة، فلسطيني بامتياز. لا قرن الأديان ولا الأفكار ولا الأيديولوجيات ولا النسق السياسي، سيما العربي منه، حيث يعيش حالة من التواطؤ والتخلي عن رهافة الإحساس، وصنو مشوه «للنفايات السياسية» في المواقف والمشاعر المتحجّرة أمام أعداد القتلى والجرحى والمصابين. في المقابل، تضغط الأمم المتحدة والعالم على إسرائيل للموافقة على فتح ممرّات آمنة وتوصيل المساعدات.

غزّة صورة الضحايا الأبديين لظلم التاريخ في الشرق الأوسط، في حربٍ لا تعرف الحدود (يهدّد فيها وزير إسرائيلي باستخدام النووي ضد شعب نصفه من الأطفال). في الصورة، صار العالم (حتى من أصدقاء إسرائيل) يعاني أضرارا نفسية وتدهورا في السلوكيات والأعصاب. لا يمكن للعالم أن يبغض أطفالا مضرّجين بدمائهم، أو أشلاء لا تعرف فرارا من انتقام، ومن العنف والنزوح والتشريد والصدمات والحزن، «وصمة عار على ضميرنا الجماعي (أنطونيو غوتيريس)».

... كيف يمكن بناء سلام واستقرار بوجود هذا الكمّ من الضحايا الأبديين، عندما تأتي الصورة من عواصم العالم لها سيميائيتها الخاصة، حيث تقف بوجه التاريخ المفتّت/ والانحطاط طويل الأمد لإسرائيل.

(كاتب لبناني)

كاريكاتير عماد حجاج

العراق والعدوان على غزّة... أيّ موقف؟

إياد الدليمي

منذ اللحظة الأولى للعدوان الإسرائيلي الهمجي والوحشي على غزّة، كان العراق حاضراً في أتون هذا الصراع، وبعيدا عن التظاهرات المؤيدة لغزّة والمندّدة بالعدوان، كان هناك عراق آخر يحضر وبقوة في هذا الصراع، ليس العراق الرسمي الذي بدا موقفه متماهيا مع الموقف العربي الرسمي الخجول من التعامل مع هذا العدوان، وإنما، على وجه التحديد، الفصائل العراقية المسلحة والتي تُعرف بالولائية، في تعبير عن ولائها للولي الفقيه الإيراني، هذه الفصائل التي تشكّل، في أغلبها، الحشد الشعبي العراقي، وهو جهة عسكرية مشرعة بقانون عام 2016، ويفترض أنها تابعة لرئيس الحكومة مباشرة، غير أن الواقع يؤكّد أنها هي التي تقود الدولة، وأن رئيس الوزراء موظف بدرجة مدير عام لا أكثر، فهي أكبر من الدولة.

أعلنت هذه الفصائل مباشرةً عن تشكيل ما تُعرف بالمقاومة الإسلامية في العراق، وهدّدت، منذ الأيام الأولى للعدوان الإسرائيلي، بالدخول إلى المعركة، وتوعّدت بقصف المصالح الأميركية في العراق، ثم تطوّر الخطاب إلى التهديد بقصف المصالح الأميركية في العراق والمنطقة، وصولا إلى الحديث عن تشكيل المقاومة الإسلامية في العراق وسورية، والذي جاء قبيل الخطاب الطويل والمملّ لأمين عام حزب الله، حسن نصر الله، والذي أشاد بهذه المقاومة العراقية التي أعلنت عن نفسها، وما هي إلا فصائل الحشد الشعبي في العراق، ولأنها تخشى أن تطالها اليد الأميركية بالقصف، فإنها دائما ما تلجأ إلى مثل هذه الحيل، من خلال تشكيلاتٍ بأسماء وهمية، علما أن الجميع يعرف عائدية هذه المقاومة لمن.

في الأيام الأولى للعدوان الإسرائيلي على غزّة، خرج مقتدى الصدر، الزعيم الشيعي الذي يعارض حكومة الإطار التنسيقي التي شكلتها الفصائل المسلحة في العراق، ودعا إلى إغلاق السفارة الأميركية في بغداد، لأن الولايات المتحدة شريك رئيسي في العدوان على غزّة، فماذا كان ردّ الفصائل المسلحة عبر أذرعها السياسية التي تشكّل الحكومة العراقية على مثل هذا المقترح؟ عارضته وبشدة، وزعم أحدهم أن هذا المطلب من الصدر مفخّخ كونه يريد أن ينفرد بهم ليذبحهم في المنطقة الخضراء، عقب الانسحاب الأميركي، فيما راح آخرون يتحدّثون عن كارثية هذا الطلب، وما يمكن أن يجرّه على العراق من فقدان السيولة المالية وفقدان الدعم للحكومة وغيرها من كوارث لا عدّ لها ولا حصر. علما أن هذه الفصائل، عندما كانت في صف المعارضة إبان حكومة مصطفى الكاظمي السابقة، صوّتت في البرلمان على طلب إخراج القوات الأميركية من العراق، وكانت تقصف بشكل شبه يومي محيط السفارة الأميركية في بغداد، بل وصل الأمر إلى أن هذه الفصائل تظاهرت وهدّدت بحمل السلاح ضد حكومة الكاظمي، بعدما تمكّنت القوات الأمنية من اعتقال مجموعة من العناصر كانت تحضّر لاستهداف مقرّ السفارة الأميركية في بغداد. تدرك الحكومة العراقية، برئاسة محمد شياع السوداني، جيدا أنها بين المطرقة الإيرانية التي تحاول أن تزجّ العراق، عبر فصائله المسلحة في الصراع، ولو بقدر معين، والسندان الأميركي، فهي لا تقوى على أي عقوباتٍ قد تتعرّض لها من واشنطن، وفي الوقت نفسه، هي حريصة على أن تكون مع

> من غير المستبعد أن تنفذ الفصائل العراقية المسلحة عمليات ضد مصالح قد لا تكون أميركية

طهران في خطّها المعارض للحرب على غزّة، على اعتبار أن العراق جزءٌ من محور المقاومة. من هنا، تكمن صعوبة مهمّة السوداني الذي سمع كلاما صريحا من واشنطن بأن أي تعرّض للقوات الأميركية والسفارة والمصالح الأخرى في العراق قد يؤدّي إلى إغلاق السفارة مع كل ما يترتب على ذلك. في تهديد يبدو أنه وصل إلى طهران، التي وإن بدت حريصة على دفع فصائل العراق إلى خط المواجهة، إلا أنها، في الوقت ذاته، حريصةٌ على عدم المسّ باستقرار العراق، كونه يعود عليها بمنافع اقتصادية وسياسية كانت، إلى وقت قريب، أشبه بالحلم.

من غير المستبعد أن تنفذ الفصائل العراقية المسلحة عملياتٍ ضد مصالح، قد لا تكون أميركية، وإنما ضد دول تعتقد تلك الفصائل أنها مشاركة في العدوان على غزّة، حتى وإن كانت عربية، وذلك لتسجيل موقف، وأيضا محاولة ضغط إيرانية على تلك الدول، من أجل التدخّل لمنع اتساع الحرب في غزّة.

(إعلامي عراقي في الدوحة)

كان صمتُ نصر الله أبلغ

عيسى الشعيبي

نادراً ما يُمسك الكاتب قلمه أو يجلس أمام شاشة جهازه، وهو يتمنّى، في قرارة نفسه، أن تكون افتراضاته خاطئة، ورؤيته عن الأمر المطروح ناقصة، وذلك لثقل شعوره بفداحة الاستنتاج المعلّق بعد في سماء الاحتمالات، وربما لبقيّةٍ باقيةٍ من رجاءٍ قابعٍ في حشايا الروح يرفض الانصراف، تماماً على نحو ما كنتُ عليه ساعة تسويد بياض هذه الزاوية المكرّسة للتعقيب على خطاب زعيم حزب الله، حسن نصر الله، الخاص بتطوّرات حرب الإبادة الجارية ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزّة، ناهيك عن الضفة الغربية، منذ نحو شهر وأكثر بلا انقطاع.

منذ اليوم الثاني لحرب الإبادة هذه، سيّما بعد أن تمادت آلة القتل في هدم البيوت على رؤوس السكّان في القطاع المحاصر، واتضح لكل ذي لبٍّ مدى عجز النظام العربي عن فعل أي شيءٍ قادر على كبح جماح الحرب الوحشية المفتوحة ضد الأطفال والنساء، انشدّت الأبصار تلقائياً نحو القوّة الوحيدة القادرة، والحالة هذه، على إدخال متغيّر يُعتدّ به في حمأة هذه المقتلة الجماعية المنقولة بالصوت والصورة من عين المكان، وهي قوّة وازنة يُحسَب لها ألف حساب، ونعني بذلك الترسانة الصاروخية الهائلة لحزب الله. ساد هذا الاعتقاد وراج على أوسع نطاق لدى جماهير عربية «غفورة» أثار حفيظتها الاستهداف المنهجي المروّع للأطفال في غزّة والجوار، فخرجت إلى الشوارع في معظم الدول العاجزة، حتى لا نقول أكثر، عن فعل شيءٍ سوى إصدار بيانات الشجب والاستنكار، وهتفت الحناجر للمقاومة الباسلة، ونادت على حسن نصر الله، صادحةً بما معناه إن هذا اليوم يومك الذي انتظرناه وإياك، لتلقين العدو المتغطرس درساً لا ينساه، ووقفه عند حدّه بعد صبر مديد وترقّبٍ طال مداه، وإن هذه هي ساعة دكّ بيت العنكبوت، وفق ما وصفته قبل نحو عشرين سنة.

كان هذا الرهان على حزب الله في محلّه لدى العرب في سائر الأصقاع والأمصار، نظراً إلى ما أبلاه الحزب في المعارك السابقة مع دولة الاحتلال، فهتفت الحناجر «اضرب تل أبيب يا نصر الله» وزاد من علوّ الصوت الصادح التعبئة الإعلامية والاشتباكات الحدودية، التي ألهبت الخيال العربي الجامح، ورفعت سقف التوقّعات إلى عنان السماء، وهو ما جعل خصوم الحزب وأعداءه، بمن فيهم قادة الاحتلال، يتصبّبون عرقاً وقلقاً ويضربون الأخماس في الأسداس.

وهكذا كان الترقّب في أوجه غداة الخطاب المرتقب على أحرّ من الجمر. وعلى الفور، احتدّت النقاشات والانفعالات. وذهبت تخميناتٌ مختلطةٌ بالتمنيّات إلى حدّ أن نصر الله سوف يقوم بعمليةٍ نوعيةٍ تسبق أو ترافق إطلالته على الملأ، وقد يُعلن عن أجل محدّد لإيقاف المذبحة، وإلا فإن ترسانته الصاروخية ستقوم بالواجب من دون إنذار، وقد يقول إن تل أبيب مقابل بيروت سناً بسنّ، ومطار بن غوريون قبالة مطار رفيق الحريري عيناً بعيْن، الأمر الذي رفع المعنويات والتوقّعات والتحسّبات لدينا، وأزاغ، في المقابل، أفئدة الأعداء عن مواضعها، وجعلهم يقفون على رؤوس أصابعهم متوجّسين خطر ما قد تُمطره سماء المستوطنات من حمم نار وبارودٍ وموتٍ زؤام.

كان التوقّع أن أمين عام حزب الله قد اختمرت لديه الفكرة وأعدّ لها العدّة، وتأكّد أن طريق القدس لا تمرّ من حمص، اجتاز زمن الوعيد والتهديد، وأن الوقت قد أزف للانتقال من الكلام عن «الجهوزية» ووحدة الساحات وغرفة العمليات المشتركة إلى الفعل على الأرض، ومن ثمّة الوقوف عند حسن الظن، عند لهفة الناس المكلومين في غزّة ونداء الشارع الملتاع للردّ على المجازر المتنقلة، فهذه لحظته المواتية، لحظة استعادة مجده الذي كان، غداة حرب العام 2006، قائداً عربياً عابراً للحدود، لجدران الطوائف والمذاهب، زعيماً عربياً وحيداً كان قد زاحم جمال عبد الناصر على التربّع في قلوب الملايين، وهل هناك أعظم من قضية نصرة المظلومين لاستعادة المكانة التاريخية، والبناء على ما حقّقه طوفان الأقصى من نتائج عظيمة؟

غير أن كل تلك التكهنات والتمنيات والمخاوف ذهبت أدراج الرياح، عندما أنهى زعيم حزب الله خطابه المرتقب بفارغ الصبر، بعد نحو مائة دقيقة، على نحو مخيّبٍ لآمال المتعطّشين لوقفة عزٍّ نادرة، لكتابة صفحةٍ أخرى في كتاب الملحمة الجارية، الأمر الذي دفع بعض المخاطبين بهذه الإطلالة إلى القول بحسن نية صادقة: ليت الرّجل ظلّ صامتاً، إذا لم يكن في الأمر خدعة استراتيجية، فقد كان صمتُه بليغاً إلى أبعد الحدود، وثقيلاً على العدو، ومفيداً للقابضين على الجمر في الخندق الأخير في غزّة.

النظام المصري في حرب غزّة

محمد طلبة رضوان

كانت القضية الفلسطينية، ولم تزل، ورقة مساومة في يد أنظمة الاستبداد العربي، التي لم تخدم هذه القضية قدر ما استخدمتها.. مساومة الداخل لدى أنظمة الشعارات الممانعة، حيث لا صوت يعلو فوق صوت القضيّة، لا صوت الحريات، التي تتعارض بالضرورة مع دعم القضية وتخدم الأجندات الغربية والمؤامرات الخارجية، ولا صوت الديمقراطية وتداول السلطة، حيث لا نظام يحمي القضية سوى النظام القائم، الذي لا يعارضه أو ينافسه سوى عملاء إسرائيل، ولا صوت الخدمات، والرفاهية، ولا شيء، سوى النظام الذي يعيش للقضية، أو بالأحرى يعيش بها وعليها. أما الأنظمة «المعتدلة»، وأبرزها مصر، فكانت تستخدم القضية، وموقف الداخل منها، في مساومة الخارج وضغوطه، فإذا زايد الغربيون على النظام المصري في ملفات الديمقراطية وتداول السلطة كانت تظهر فلسطين بوصفها علّة بقاء النظام مدى الحياة، فلو فتح النظام المجال العام فأول ما سيطالب به المصريون هو تحرير الأرض المحتلة، وحده الاستبداد من يحمي دولة إسرائيل.

والسؤال: ماذا يفعل الحكم في مصر في حرب غزّة وبها؟ لا يفتح معبر رفح، لا يسمح بمرور المساعدات من دون «السماح» الإسرائيلي، يبدو الأمر كما لو أنه لا سيادة مصرية على معبر مصري، وهو ما اجتهدت شاشات النظام المصري وكتائبه الإلكترونية في تبريره في الأيام الأولى من الحرب بأن اتفاقية كامب ديفيد، التي لا يعلم أغلب المصريين شيئا عن نصوصها، تفرض على النظام المصري التنسيق مع الجانب الإسرائيلي قبل فتح معبر رفح، وبعد فشل هذا التبرير بدأت مزايدات الكتائب الإلكترونية على أصحاب السؤال في الداخل المصري بأنهم «لا يحبّون أوطانهم مثلما يحبّون أوطان الجيران»، ويريدون توريط مصر في حرب في ظروف اقتصادية طاحنة، وهو ما لم يطلبه أي أحد في مصر أو غيرها. وأجابت الكتائب الإلكترونية عن سؤال معبر رفح بسؤال: لماذا تزايدون على مصر وحدها؟ وما الذي تفعله سورية.. لبنان.. الأردن؟ بل ما الذي تفعله تركيا، ورجب طيب أردوغان.. وساهم خطاب الأمين العام لحزب الله اللبناني، حسن نصر الله، في تعزيز هذه «المشاغبات»، ومنحها أرضية. الجميع متفرّج، فلماذا على مصر وحدها الفعل؟

ما يقوله النظام منذ اللحظة الأولى أنه ضد تهجير سكان قطاع غزّة إلى شبه جزيرة سيناء، لكنه يوافق من حيث المبدأ على تهجيرهم من أرضهم، ويقترح أن يكون التهجير «في صحراء النقب لحين انتهاء إسرائيل من أهدافها المعلنة في تصفية الجماعات الإسلامية المسلحة، ثم يمكنها بعد ذلك أن تعيد الفلسطينيين إلى غزّة، إن شاءت»، وهو الاقتراح الذي احتفى به الإعلام الإسرائيلي في الأيام الماضية، وأذاعه عشرات المرّات بعد ترجمته إلى العبرية. فإذا أضفنا إلى ذلك إصرار النظام على إغلاق معبر رفح، وتبريره ذلك باتفاقيات كامب ديفيد وفيلادلفيا، التي لا تحرمه سيادته على المعبر، وانتظاره «الحصول على موافقة إسرائيل» قبل مرور زجاجة مياه واحدة إلى القطاع، وتمريره شاحنات المساعدة من معبرَي كرم أبو سالم والعوجة، وهما معبران مصريان إسرائيليان، من دون محاولة واحدة لاستخدام المعبر المصري الفلسطيني الوحيد، ناهيك باستمرار حصار النظام المصري ردود فعل الداخل المصري، ومنعه المظاهرات المتضامنة مع أهل غزّة، والتزامه في خطاباته الرسمية لغة هادئة ومحايدة، وإداناته الدبلوماسية الباردة جرائم حرب ومجازر وحشية مثل ضرب مستشفيات ومدارس فلسطينية، فإننا لسنا أمام متفرّج أو مُكره يخشى الحرب في ظروف اقتصادية طاحنة.

خطاب نصر الله ونهاية وحدة الساحات

عمار ديوب

انتظر المؤيدون والرافضون خطاب أمين عام حزب الله حسن نصر الله، وسمعوه يوم الجمعة الماضي (2023/11/4)، فالحزب قوّة لبنانية وإقليمية وازنة. وعدا ذلك، إنه يتموضع في إطار السياسات الإيرانية في المنطقة، وحتى في الموقف من الكيان الصهيوني. كانت الاستراتيجيات في المنطقة، قبل عملية طوفان الأقصى، تقوم على تطبيع أغلبية الدول العربية، وتَبنّي محور «المقاومة» استراتيجية وحدة الساحات، وانفتاح تركيا على دولة الاحتلال.

بعد 7 أكتوبر/ تشرين الأول، وخطاب نصر الله، وعتب قادة من «حماس» على حزب الله، لم يتغيّر الموقف العربي؛ فبعد شهر من حرب الإبادة على غزّة لم يعلن أحدٌ من الدوَل العربية المطبعة مع إسرائيل قطع العلاقات، ولم تتفعّل وحدة الساحات. ورغم قول نصر الله إنهم في حزب الله دخلوا الحرب في اليوم التالي لعملية طوفان الأقصى، 8 أكتوبر، فاستطاعوا تحييد نسب معينة من قوات الكيان، وأكّد أن معركةَ غزّة فلسطينية بامتياز، وليس في الأفق الانتقال من حرب المناوشات على الحدود اللبنانية إلى حرب وحدة الساحات، أوضح نصر الله أن الانتصار على الكيان يتم بالنقاط وليس دفعة واحدة. وهذا تأكيدٌ إضافي على أن استراتيجية وحدة الساحات لن تتفعّل، ما يتلاقى مع رغبة أغلبية اللبنانيين في عدم دخول الحرب، ومع الموقف الإيراني بعدم دفع الحرب لتصبح إقليمية، وتحذير الولايات المتحدة والكيان من خطورة ذلك، وهذا يتطابق مع موقفٍ أميركي يحذّر من الحرب الإقليمية.

المشكلة في المواقف المتطابقة أعلاه، الأميركية والإيرانية وحزب الله، بل وكل الدول العربية في أنّها لا تقترن بموقفٍ جازم بضرورة إيقاف إطلاق النار والعدوان على غزّة. وبالتالي، تَستغلّ دولة الكيان مواقفهم تلك للاستمرار في حرب الإبادة على غزّة، أرضاً وبشراً، ولا سيما أن هناك رفضا فلسطينيا وعربيا للتهجير إلى مصر.

يقول التفكير العقلاني قبل الخطاب إن نصر الله لن يأتي بجديدٍ عن المناوشات، ولا سيما أنّ سياساته تنطلق من الاستراتيجية الإيرانية، والتي تشهد تقارباً مع السياسات الأميركية في المنطقة، منذ غزو الولايات المتحدة أفغانستان والعراق، والصمت عن وجود حزب الله في لبنان، والصمت عن تدخّل الأخير الواسع في المقتلة السورية بعد 2011، واستمرار الموقف ذاته رغم تشكيل الأميركان حلفا دوليّا ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في سورية عام 2014. ويؤكّد تزامن وجود الميليشيات الإيرانية وحزب الله في سورية مع القواعد الأميركية في سورية عدم وجود تناقضاتٍ حقيقيةٍ بين أميركا وإيران، وأن هناك طرقا لإدارة الخلافات، وليس عبر الحرب بين الدولتين. بعد عملية 7 أكتوبر، سبحت بوارج أميركية إلى شواطئ المتوسّط، ومعها بوارج غربية، ومع ذلك، ظلت مواقف هذه الدول تؤكّد عدم الانجرار إلى حربٍ إقليمية.

إذاً، لم تكن سياسة وحدة الساحات قبل 7 أكتوبر سوى أداة أيديولوجية للردّ على استراتيجية التطبيع العربية. لقد تخلّى نصر الله عنها في المناوشات وفي الخطاب، في تفسيرنا، مدّعياً أن قرارات كل أشكال المقاومة خاصة بتلك الأشكال، وما فعلته «حماس» كان أمّراً مستقلاً بها؛ وإذ كنّا لا نرفض ذلك بما يخصّ «حماس»، فإن قرارات بقية المقاومات المرتبطة بإيران ليس كذلك، بل هي تعمل وتحارب بقرار كاملٍ من إيران، ومناوشات حزب الله، والحشد الشعبي والحوثيين في العراق وسورية واليمن ليست أكثر من أوراق بيد الإدارة الإيرانية، ومن أجل التفاوض مع الإدارة الأميركية على كل شؤون المنطقة، ومنها غزّة، ومستقبل القضية الفلسطينية؛ ووزير الخارجية الإيراني يتنقل في العالم وكأنَّ فلسطين قضية إيرانية!

ضعف السياسة العربية، وتبنّي عدة دول التطبيع، وعدم إيقاف اتفاقياتها مع الكيان، هو ما يُفسح المجال لإيران للتدخّل بقضية فلسطين وقضية غزة الآن، وهو ما يتيح للدول الغربية الاستمرار بسياسات التأييد الكامل للكيان منذ 7 أكتوبر؛ وقد كرّر وزير الخارجية الأميركي، بلينكن، في عمّان، بعد اجتماعه مع خمسة وزراء خارجية عرب، رفضه إيقاف العدوان ووقف إطلاق النار، وكرّر الهجوم على حركة حماس وتحميلها مسؤولية ما يجري في غزّة، وكأنّ المشكلة «حماس»، وليس دولة الاحتلال.

يوضح وصول البوارج الغربية بشكلٍ دقيق هشاشة دولة الكيان، والتأثير القوي لعملية طوفان الأقصى، وكذلك وفود الحجّ الغربية إلى تل أبيب، ولا سيما الأميركية. الملفت هنا أن الولايات المتحدة لم تعد داعمة للعدوان، بل هي مشاركة، دبلوماسياً في مجلس الأمن وهيئات الأمم المتحدة، وعسكرياً في التخطيط لكيفية التخلّص من «حماس» والمشاركة المباشرة في الحرب، وهذا جديد نوعي في السياسة الأميركية، واقتصادياً، وسواه. لا شيء قبالة ذلك يتحقّق عربياً أو إيرانياً، ومناوشات حزب الله وقصف القواعد الأميركية في هذه الدولة أو تلك، ليس أكثر من رسائلٍ بحصر الحرب في غزّة من جهة إيران. الحصيلة هنا أن غزّة تركت لمواجهة العدوان بمفردها بكل معنى الكلمة.

الغموض التي قال به السيد حسن نصر الله، أو أن الخيارات كلّها على الطاولة، لا تعدو أكثر من تهديدات إضافية لإسرائيل بألّا توسّع الحرب إلى لبنان، وكذلك تذكير أميركا بهزيمتها في لبنان، وانسحاب المارينز عام 1983. وأيضاً، إن حزب الله أعدّ العدة لتلك البوارج في عرض البحر. وحديث نصر الله عن انتصار بالنقاط وليس بوحدة الساحات رسالة دقيقة لجهة توافق مواقف الحزب مع إيران في منع الحرب الإقليمية، وهو موقف كل الدول العربية، بل والغربية أيضا.

ليست الحرب الإقليمية نزهة، وليس الكاتب من دعاة الحروب، ولكنّ حرب الإبادة على غزّة مستمرة. والقصد أن هناك ضرورة للتحشيد الدولي والإقليمي من أجل إيقاف العدوان؛ وهذا ما كان يجب التأكيد عليه في عمّان مع الوزير الأميركي، ورفض إجراء أيّ نقاشات معه قبل تحقيق ذلك، وإيقاف اتفاقيات التطبيع حاسم في ذلك. صحيح أن الوزراء العرب رفضوا نقاش اليوم التالي بعد «القضاء على حماس»، وهذا جيد، ولكن الضرورة تقتضي رفض أيّ حوارات معه سوى إيقاف العدوان، وكذلك بخصوص مصير «حماس»؛ فللحركة قيادة، وهي من يجب النقاش معها، كما تمّ مع قيادة حركة طالبان مثلاً، قبل جلاء القوات الأميركية من أفغانستان.

مع عدم تفعيل وحدة الساحات، وعكس سعي حزب الله إلى الاستقرار ورفض الحرب الإقليمية، ترفض دولة الكيان السلام وحلّ الدولتين، وتستمر في سياساتها العدوانية والاستيطانية ضد قطاع غزّة والضفة الغربية وفلسطينيي 48. وبالتالي، فوّت حزب الله على نفسه فرصة مثالية لوحدة الساحات، وإعلان الحرب الشاملة، وهذا ما كان سيخفّف عن غزّة، ويجبر أميركا وحلفها على إيقاف العدوان، وإيجاد مخرج لحركة حماس ذاتها ويحافظ عليها، والأمر ذاته يخصّ الدول العربية، فلو اتخذت موقفاً صلباً وأنهت اتفاقيات التطبيع، فإن هذا كان سيُعلي من شأنها مع الكيان مستقبلاً. وهنا لا بد من السؤال: هل من ضماناتٍ أميركيةٍ بألّا تفكر إسرائيل بالحرب ضد حزب الله في المستقبل بعد الوصول إلى تسويةٍ ما بخصوص غزّة؟

> اهتزت دولة الاحتلال كثيراً، وأصبحت مسنودة كليّا من الإدارة الأميركية، بينما لم تَستغلّ ذلك إيران أو الدول العربية ولا حتى حزب الله

اهتزت دولة الاحتلال كثيراً، وأصبحت مسنودة كليّا من الإدارة الأميركية، بينما لم تَستغل ذلك إيران أو الدول العربية ولا حتى حزب الله، وكان في مقدورهم أن يناوروا، كما أوضحت السطور أعلاه، ولا سيما أن هناك أطرافاً دولية، كالصين وروسيا، تعلن ضرورة إيقاف العدوان، وهذا ما كانت ستفكّر به الإدارة الأميركية والاتحاد الأوروبي مليّاً.

يا لبؤس المواقف العربية والإقليمية من القضية الفلسطينية، ويا لبؤس أنظمة هذه الدول.

(كاتب سوري)

كل الفلسطينيين أعداء يجب طردُهم

سمير الزبن

بدأت إسرائيل حربها الوحشية على غزّة، وهي لا تملك إجابة عن سؤال اليوم التالي للحرب، كما تردّد كثيراً في وسائل الإعلام. ولأن الحرب امتداد للسياسة، فإن إسرائيل، رغم كل الضجيج الإعلامي، أعتقد أنها تملك خطةً غير معلنة لهذا اليوم. ولأن هذه الخطة غير قابلة للتسويق، لأنها تُعتبر جرائم حرب، تُبقيها مخفيّة، وهذا لا يعني أنها قادرة على تنفيذها، فهي ستبحث خلال الحرب ما يمكنها تنفيذه منها. الخطة واضحة، تقوم على تطهير عرقي للفلسطينيين، لأن كل الفلسطينيين أعداء في قطاع غزّة يجب إبعادهم عن الحدود وطردهم إلى الخارج، وإلى سيناء تحديداً، وبذلك يتم إبعاد خطرهم عن إسرائيل، طالما أن كل وسائل الحصار والحروب المتكرّرة على القطاع سابقاً، لم تمنع هذا الخطر، لم يعد هناك خيار غير الطرد.

حدّدت إسرائيل أهداف هذه الحرب بشقين: «إعادة المخطوفين» حسب التعبيرات الإسرائيلية، والقضاء على حركة حماس. إذا كان الهدف الأول واقعياً، من الممكن الوصول إليه بالمفاوضات غير المباشرة مع «حماس» في عملية تبادل مع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، إلا أنه لا يمكن إطلاقهم بعملية عسكرية برّية واسعة كالتي تقوم بها إسرائيل، لأنها قد تكلف أرواح أغلبهم إن لم نقل كلهم. ويبدو تمهّل إسرائيل في بدء حربها البرّية، بسبب وجود مفاوضاتٍ غير مباشرة مع «حماس» من أجل إطلاقهم، أو أن الحكومة تريد الإيحاء للشارع الإسرائيلي أنها بذلت الجهود الكافية من أجل إطلاقهم، وأنها تضطرّ لخوض حربها، مع حزنها الشديد على من يمكن خسارتهم تحت نيران هذه الحرب.

الهدف الثاني مموّه، لأن «حماس» ليست قوّة عسكرية تقليدية من الممكن القضاء عليها بتدمير قواتها وآلياتها ومقاتليها عبر أدوات الحرب التقليدية، وكأنها قوّة منفصلة عن المجتمع الفلسطيني. وأقول هدفا مموّها أيضا، لأن أصواتا كثيرة في إسرائيل تساوي بين «حماس» والشعب الفلسطيني في غزّة، في مقدّمة هذه الجوقة وزير الزراعة أفي ديختر، وهو رئيس سابق لجهاز الشاباك (المخابرات الداخلية)، الذي قال في الأيام الأولى للحرب، «إن عهد وجود أبرياء في غزّة انتهى إلى غير رجعة. والحرب الحالية ليست جولة أخرى، بل معركة حقيقية لتغيير الأمور رأساً على عقب»، وللمطابقة بين الفلسطينيين وحركة حماس كعدو هدف سياسي واضح، سواء عند القائلين بذلك، أو عند الذين يعتقدون ذلك في الحكومة والجيش الإسرائيليين ولا يصرّحون به علناً، والخطاب الذي يؤسّس لاستباحة قطاع غزّة ومن فيها، لأن كلهم إرهابيون، وكلهم شركاء في هجوم «حماس» على غلاف غزّة، والذي أودى بحياة مئات الإسرائيليين. وهذا مدعومٌ بفتوى الحاخامات في إسرائيل، التي تُجيز المسّ بالمدنيين في قطاع غزّة. ويتكامل هذه الموقف، مع دعوات إسرائيلية أخرى، تدّعي حماية المدنيين الفلسطينيين في العمليات العسكرية التي ترتكبها القوات الإسرائيلية في قطاع غزّة، وحتى يتم تجنيبهم مخاطر الحرب، عليهم المغادرة إلى خارج قطاع غزة، وإلى سيناء تحديداً، ينتظرون هناك حتى انتهاء الحرب. وبات من المعروف أن هناك ضغوطاً أميركية وأوروبية كبيرة على مصر من أجل استقبالهم في سيناء، ونتنياهو ذاته قد طلب من الأوروبيين الضغط على مصر من أجل قبول استقبالهم، في وقتٍ يسعى الأوروبيون إلى الوصول إلى اتفاقاتٍ مسبقةٍ مع مصر لمنع أي هجرة جديدة من الفلسطينيين إلى أوروبا في حال دخولهم إلى سيناء، حتى لا تكون نتيجة ذلك موجة لاجئين جديدة إلى البلدان الأوروبية تُفاقم من أوضاعها. وهناك أخبار عن إغراءات مالية لمصر بإعفائها من بعض الديون في حال وافقت على استقبال الفلسطينيين.

تستكمل الصورة نفسها، بحظر دول أوروبية أي تضامن مع الفلسطينيين في قطاع غزّة، وبمنع استعمال الرايات والرموز الوطنية الفلسطينية في الاحتجاجات التي تشهدها المدن الأوروبية بزعم أنها تدعم «إرهاب حماس»، وهو يعني شيطنة كاملة للفلسطينيين، ووصمهم جميعاً بتهمة الإرهاب، ليس من إسرائيل فحسب، بل ومن دول غربية كثيرة، وهو ما يجعل هذه الشيطنة غطاءً كاملاً للجرائم الإسرائيلية التي تُرتكب في قطاع غزة.

لا تخوض إسرائيل حربها على الفلسطينيين في قطاع غزّة بأدوات القتل العسكرية فحسب، بل هي تحاصر القطاع أيضاً بطعامه وأدويته ووقوده أيضاً، حيث بدأ كل شيءٍ يشحّ ويُفقد في القطاع، والمساعدات التي تدخل إلى القطاع بالقطّارة لا تكفي، وسرعان ما سيتسبّب هذا الحصار في جوع سكان غزّة، وعدم حصولهم على الحد الأدنى من وسائل العيش.

> جريمة مشهودة يتواطأ عليها العالم «المتحضّر» مع المجرم، لإنتاج نكبة بتهجير جديد للفلسطينيين على مرأى العالم المنحاز والداعم للمجرم

منذ الأيام الأولى للحرب، طلبت إسرائيل من سكّان شمالي غزّة التوجه إلى جنوبه. وستحاول دفع الذين لم يستجيبوا للنداء إلى الجنوب، عبر العملية العسكرية، الواضح أنها تستهدف بشكل أساسي تجريف السكّان، وهذا ما سيزيد من الوضع مأساوية. وفي حال استمرار العملية العسكرية باتجاه الجنوب، سيُوضع الناس في حالة يأس، ما سيدفعهم إلى تحطيم الجدار والدخول إلى سيناء كما جرى في العام 2008، عندما اقتحم آلاف الفلسطينيين الأراضي المصرية ليشتروا حاجاتهم من رفح المصرية والعريش، بعد الحصار الخانق الذي فرضته إسرائيل على القطاع، ولكن هذه المرّة، سيكون على نطاق أوسع.

يكمن مخطّط اقتلاع إسرائيل للفلسطينيين في ثنايا الحرب الإسرائيلية على غزّة، يحاولون تمرير هذا المخطّط تحت انفجار القذائف التي تقع على رؤوس المدنيين، وعبر جرائم حرب يصمت عنها العالم «المتحضر» باعتبارها «دفاعاً عن النفس» وكأن الفلسطينيين هم الذي يحتلون إسرائيل ويحاصرونها حصاراً خانقاً.

إنها جريمة مشهودة يتواطأ عليها العالم «المتحضّر» مع المجرم، لإنتاج نكبة بتهجير جديد للفلسطينيين على مرأى هذا العالم المنحاز والداعم للمجرم، الذي يرى ويحمي جرائم الحرب والتطهير العرقي الذي تمارسه إسرائيل بحقّ الفلسطينيين، ويطلب منهم أن يرضوا بمصيرهم، وأن يكونوا مسالمين.

(كاتب فلسطيني في استوكهولم)

لماذا يختار أهل قطاع غزّة الموت على الهجرة؟

فايز أبو شمالة

رغم القصف الإسرائيلي المتواصل على رؤوس السكّان في قطاع غزّة، ورغم المجازر، ورغم الجوع الذي يطوف على البيوت، مع قلّة الماء، وقلة الدواء، يرفض الفلسطيني هنا، من حيث تنكتب هذه السطور في القطاع، أن يترك غزّة الجائعة المحاصرة، ويختار الموت تحت سقف بيته، ولا يستجيب لنداء آلاف المنشورات التي تلقيها الطائرات الإسرائيلية، وتدعو فيها السكّان إلى ترك بيوتهم، والتوجه إلى جنوب القطاع. ورغم اختراق الجيش الإسرائيلي الإذاعات المحلية، وبثّه الرسائل المخيفة عن القادم في المعركة، وعن الجبروت الإسرائيلي، وعن ضرورة التوجّه إلى الجنوب، رغم ذلك كله، لا يزال الشعب الفلسطيني في قطاع غزّة متمسّكاً بأرضه، يتمرّق تحت القصف، ويندفن تحت رُكام بيته، من دون أن يهاجر، أو يغادر، أو يترك تراب الوطن.

لقد جرّب الفلسطينيون الهجرة سنة 1948، وصدّقوا القيادات العربية في ذلك الوقت، وقد وعدتهم بالعودة إلى بيوتهم وأرضهم ومدنهم بعد أيام معدودات من تصفية العصابات اليهودية. وصدّق الفلسطينيون، في تلك السنة من النكبة، أن القيادات العربية معنيّة بسلامتهم، وإبعادهم عن ساحات القتال. في تلك التجربة الأولى صدّق الفلسطينيون، وتركوا أرضهم، بياراتهم، وتركوا مدنهم بفنادقها وشوارعها ومؤسّساتها، بما في ذلك المصانع والمتاجر ودور السينما. تركوا بيوتهم المكوّنة من عدة طوابق، وتركوا غلالهم وثمارهم وأشجارهم، ومصادر رزقهم، واستجابوا للدعاية التي طالبتهم بالابتعاد عن ساحات القتال مؤقتاً، لقد هاجر الفلسطينيون عن أرضهم، بملابسهم الشخصية، خرجوا بأنفسهم وأطفالهم سنة النكبة، وتركوا من خلفهم مقتنياتهم ومدّخراتهم، فالهجرة أياما معدودات، والعودة مضمونة، بوعد من الجيوش العربية.

وحتى سنة 2023، أي بعد مضي 75 سنة، والفلسطينيون يحلمون بالعودة، وفي قلوبهم نبض المحبّة لذلك المكان الذي عشق أنفاسهم. ما زال ملايين الفلسطينيين يمضغون الحسرة، ويلوكون الندم، بعد أن سكن بيوتَهم عدوهم، وصارت قراهم ومدنهم إسرائيلية، وتحمل بصمة عدوهم، بمصانعه، وطرقاتهم ومزارعهم وتجمعاتهم الاستيطانية.

تجربة الفلسطينيين الشخصية والسياسية تحثّهم اليوم على عدم ترك الأرض، والموت تحت ركام البيت أهون ألف مرّة من الحياة لاجئين، تحت خيام تقيمها الأمم المتحدة، لتقدّم لهم بعض المساعدات، ورغيف خبز، وبعض المعلبّات. إنها المفارقات العجيبة التي يهون أمامها الموت، فكيف يُمسي صاحب برج من عدّة طوابق لاجئاً في خيمة، وكيف يُمسي صاحب مصنع أو ورشة لاجئاً يفتّش عن فرصة عمل؟ وكيف يُمسي صاحب حمّامات زراعية يفتش عن مكان على الرصيف بجوار مدرسة إيواء، وكيف يُمسي مواطنٌ آمنٌ مع أطفاله وأولاده لاجئاً، يفتّش عن مستقبلٍ دفنته الطائرات الإسرائيلية، ومسحه الصمتُ الدولي على جرائم الاحتلال؟

فكرة الهجرة من الأرض والبيت يرفضها الفلسطيني بقلبه وروحه. ولذلك يفضل الموت تحت القصف، والموت جوعاً، على الموت البطيء في الهجرة، وهذا ما جسّده أكثر من مليون فلسطيني يقيمون في شمال قطاع غزّة، فما زالوا منزرعين في بيوتهم، التي تقصف، ومع ذلك لا يخرجون. كما أن مئات آلاف اللاجئين القاطنين في المخيمات يرفضون العودة إلى تجربة الهجرة ثانية، فذاكرتهم وذاكرة آبائهم وأجدادهم تختزن مئات القصص الحزينة عن أيام الهجرة الأولى.

> إذا كانت الهجرة على مستوى الفرد مؤلمة ومرفوضة وقاتلة فالهجرة على مستوى الوطن هي القضية السياسية الفلسطينية مرفوضة أكثر

وإذا كانت الهجرة على مستوى الفرد مؤلمة ومرفوضة وقاتلة، فالهجرة على مستوى الوطن والقضية السياسية الفلسطينية أكثر رفضاً، وأكثر وجعاً، فالفلسطيني يعرف، بالتجربة، أن هجرته من بيته مقدّمة لغربته السياسية الجديدة، ونسيان قضيته، وإشغاله بالبحث عن مساعدات الأمم المتحدة.

كما أنه يعرف أن نجاح تهجير الفلسطينيين من شمال غزّة هو المقدمة لتهجير جنوبها في الأيام المقبلة. ويدرك الفلسطيني، بالتجربة، أن مطمع المتطرّفين الصهاينة ينصبّ على أرض الضفة الغربية. ولذلك، النجاح في تهجير سكّان غزّة يفتح الشهية العدوانية لتهجير سكّان الضفة الغربية. الهجرة حربٌ مفتوحة على الوطن، فلسطين، إنها حرب البقاء رغم الموت والدمار. وإذا اضطرّ بعض الفلسطينيين الذين قُصفت بيوتهم، ودمّرت ممتلكاتهم، إلى مغادرة شمال غزّة، والتوجّه إلى الجنوب، فهؤلاء يعيشون لحظاتٍ من الحسرة والندم، تفوق الخيال، يبكون في كل لحظة أوضاعهم المُزرية، فمن قصرٍ في غزّة، أو شقّة في أحد الأبراج تطل على شاطئ البحر المتوسط، وجد نفسه يفترش الأرض، وينتظر مساعدات من وكالة الغوث (أونروا)، يبكي على مدار الوقت ندماً، وينتظر الفرصة ليعود إلى المكان المدمّر، فالموت تحت أنقاض البيت أرحم من الحياة في ظل الوهم.

صمد أكثر من مليون فلسطيني في شمال قطاع غزّة. صمدوا، وهم ينتظرون يد العون من العرب والعالم. ينتظرون المساعدة الإنسانية التي تمكّنهم من مواصلة الصمود. هم جاهزون للتعايش مع المجازر الإسرائيلية، جاهزون لتقديم كل يوم قافلة من الشهداء، ولكنهم بحاجة إلى رغيف الخبز، وشربة الماء، وجرعة دواء، سيما بعد أن تعمّد المحتل الإسرائيلي قصف خزّانات المياه والمستشفيات، وبعد أن تعمّد إشعال الحرائق بخزّانات الوقود، وبعد أن تعمّد قصف المخابز، ليحرم من اختار الصمود من مقوّمات العيش والصمود الحياتية والإنسانية.

(كاتب فلسطيني)

ألا يخجل الغرب من كل هذه العنصرية؟

حسان الأسود

لم يكن التعامل السياسي والإعلامي الغربي مع الحرب الدائرة على الشعب الفلسطيني في غزّة مفاجئًا، بل هو امتداد طبيعي لما بدأته بريطانيا قبل مائة عام ونيّف، عندما أصدرت وعدها المشؤوم بإقامة وطنٍ قومي لليهود على أرض فلسطين، ثم لمّا طبّقه المجتمع الدولي بتفانٍ شديد بعد الحرب العالمية الثانية. ومن يعُدّ إلى التاريخ ير، بوضوح، أنّ هذا الإصرار على دعم الإسرائيليين مهما ارتكبوا من جرائم وفظاعات بحقّ السكان الأصليين الفلسطينيين، ليس أكثر من تعميةٍ على سبب المشكلة الأساسية الكامنة في اضطهادهم لليهود عبر التاريخ، فلم يعرف التاريخ الحديث اضطهادًا لليهود كما فعل الأوروبيون ذاتهم، فالمحرقة أوروبية وليست آسيوية، وهي غربية وليست شرقية، وهي ليست إسلامية، فمن أين تأتي الوقاحة هذه لتعميد اليهود ضحايا في بلادنا وهم كانوا ضحايا أوروبا؟ ومن أين تأتي الفصاحة هذه لاختراع ما تسمّى «الثقافة اليهودية – المسيحية الأوروبية»، بعد أن أحرق الأوروبيون «المسيحيون» اليهود أحياءً في أفران الغاز؟ وكيف للعالم أن ينسى من شرّد اليهود من أوروبا ونقلهم إلى فلسطين؟ عند المقارنة بين قضيتين شبه متماثلتين، كالحرب الروسية على أوكرانيا والأوكرانيين والحرب الإسرائيلية على غزّة والفلسطينيين، يمكن للحصيف رؤية الانحياز على حقيقته، والعنصرية على أشدّها، فالحكّام والقادة الروس محتلون معتدون ومجرمو حرب، وهذا صحيح، وتمّ بسرعة شبه قياسية إحالة ملف جرائمهم في أوكرانيا إلى المحكمة الجنائية الدولية وأحيل الرئيس الروسي، بوتين، ذاته إليها، في سابقة هي الأولى من نوعها بحقّ رئيس دولة دائمة العضوية في مجلس الأمن، بينما الساسة الإسرائيليون وضباط الجيش والأمن والشرطة ضحايا أبرياء مدنيون، وما يفعلونه في فلسطين منذ 75 سنة هو مجرّد مزاح مع أهل البلد وسكّانها الأصليين، وبالتالي، لا مجال لمساءلتهم على ظرافتهم وخفّة دمهم! يبدو أنّ عقدة الغرب مقابل الشرق لا يمكن أن تزول بمجرّد ادّعاء تمثّل حقوق الإنسان وقيم الديمقراطية، ولا يمكن أن تزول عقدة التفوّق العرقي لمجرّد تطوّر العلوم ونفيها هذه الأسس المغلوطة للبناء والأطر النظرية للتفكير.

في مقارنة سريعة وبسيطة لا تحتاج كثير تحقيق، يمكن للمرء أن يكتشف مدى سطحيّة القيم الإنسانية التي ترفع شعاراتها الدول الديمقراطية الغربية، فالواضح من هذا الاصطفاف الرهيب خلف الأوكرانيين، وهم على حقّ في قضيتهم، وخلف الإسرائيليين وهم يضربون عرض الحائط بكل القرارات الدولية وقوانين الحرب وحقوق الإنسان، أنّ العوار لا يصيب السياسة والإعلام فقط، بل يصيب الفكر الغربي كلّه، فكيف لعاقلٍ أن يقدّم كل الدعم السياسي والمادي لجيشٍ يعلن قادته أنّهم ماضون في قتل المدنيين وتدمير الأعيان المدنية المحمية بموجب القانون الدولي من مدارس ومشافٍ وجامعات ودور عبادة، ويقطع مياه الشرب والكهرباء عن مليوني إنسان محاصرين منذ 16 عامًا، إن لم يكن منفصمًا عما يعلنه من قيم ومبادئ؟

الموضوع أكبر من اصطفاف سياسي إذن، إنّه انحيازٌ عنصري لا يخفي نفسه، وهو لا يعود إلى مجرّد خلاف في أنظمة الحكم أو مستويات التقدم الاقتصادي أو الثقافي أو الحضاري كما يحلو لهم تسميته، بل هو تكريس لكره دفين لليهود ذاتهم ومحاولة لإظهار العكس من خلال آليات الدفاع النفسية الجماعية الواعية وغير الواعية. عندما يصدّر الغرب «المسيحي» الديمقراطي الليبرالي مشكلة الوجود اليهودي من أوروبا إلى فلسطين والعالمين، العربي والإسلامي، فإنّه يحاول أن يريح ضميره الذي أنهكه إرث مئات السنين من اضطهاد اليهود والذي تكلل بالهولوكوست. ليس ثمّة مبرّر، إذن، لهذا التعاطف الفاقع والزائد عن الحد واللزوم إلا الخروج من معضلة الشعور العميق بالذنب. أمّا تحويل الضحية القديمة، ضحية اضطهادهم هم ذاتهم، إلى جانٍ مرتكب أفظع الجرائم ضد الإنسانية، فما هو إلاّ شيطنة الضحيّة ذاتها لإغراقها في سلوك الإجرام، ما يعني، من حيث النتيجة، نقل عبء تحمّل المسؤولية عن كاهل مضطهدها الأساسي إلى كاهل جهةٍ أخرى، هي للمصادفة ضحيّة جديدة لا ذنب لها ولا ناقة في الصراع الساسي ولا جمل.

> يبدو أن لا فرق بين حكام الشرق والغرب إلا في مستويات الإسفاف في استخدام القيم والمبادئ لمسح أحذيتهم بها

ليست المسألة قيمًا ديمقراطية وحرياتٍ وحقوقَ إنسان، فلهذه تصنيفات مختلفة كما يبدو، فأن تكون أوروبيًا أو مطرودًا عبر الهولوكوست الأوروبي فهذا يعني أنك تستحقّ التصنيف في خانة المستفيدين من هذه البضاعة، أما أن تكون عربيًا أو مسلمًا فهذا يعني أنّك درجة ثانية، أو حتى صنفٌ آخر لا تنطبق عليه مواصفات مستحقي التنعّم بهذه المنتجات الغربية الأوروبية! ورغم أنّ غالبية الشعوب الغربية تعرف الحقيقة، ولا تقبل هذا السلوك التمييزي الجائر والمفضوح، إلا أنّه على ما يبدو لا فرق بين حكام الشرق والغرب إلا في مستويات الإسفاف في استخدام القيم والمبادئ لمسح أحذيتهم بها، فماذا فعلت الديمقراطية وحقوق الإنسان لتمنع هؤلاء الحكّام من عنصريّتهم المقيتة ومغالاتهم بها، ومتى سيخجل الغرب من عنصريّته ويترك التشدّق علينا بالحكم والمواعظ؟

(كاتب سوري في برلين)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads